الحضارات القديمة
فى القرآن الكريم
للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ٣ —

الحضارة الكلدانية

الكلدان من الشعوب السامية القديمة ، وقد قامت لهم دول بالعراق ، وكان لهم فيه حضارة تضارع الحضارة المصرية فى القدم . ولكنها سارت فى طريق معوج أضعف من شأنها ، وجعلها أقل نتاجاً من غيرها من الحضارات القديمة ؛ وقد نشأ هذا من أنهم كانوا يتجهون بعقولهم نحو الكواكب والنجوم ، فاتخذوها آلهة يعبدونها ، ويهتمون بمعرفة ما يتصل بها ، حتى جرهم هذا إلى الاشتغال بعلم الفلك ، وإلى أن يجعلوا جل اهتمامهم فى حضارتهم بهذا العلم ، وبكل ما يتصل به من العلوم كالسحر والتنجيم ، ولا شك أن مثل هذه العلوم لا تصلح أساساً لحضارة تنفع الناس فى دنياهم ، وتهيئ لهم فيها أسباب الهناءة والسعادة ، فلم يُعْنَ الكلدان بالعلوم التى تنظر إلى الأرض كما عنُوا بالعلوم التى تنظر إلى السماء ، ولم يهتموا بالزراعة والصناعة والتجارة كما اهتم بها إخوانهم الفينيقيون فى الشام ، مع أن هذه الأمور هى الأسس التى يقوم عليها بنيان الحضارة ، وترفل بها الشعوب فى حلل الرفاهية ، ولهذا ذهبت الحضارة الكلدانية ولم تترك وراءها إلا شهرة بابل عاصمتها بالسحر ، وهى شهرة لا ترفع من شأنها ، ولا تجعل لها منزلة عالية بين الحضارات القديمة

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك الاعوجاج فى الحضارة الكلدانية فى الآية (١٠٢) من سورة البقرة : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون »

فالقرآن الكريم يشير بهذا إلى أن السحر كان قد انتشر فى تلك المدينة حتى عم ضرره كل الناس ، وتفاقم خطبه بينهم ، وصار أربابه هم الآمرين الناهين فيهم ، لأنهم أوهموهم أن لهم قوة غيبية وراء الأسباب التي ربط الله بها المسببات فى هذه الدنيا ، فهم يفعلون ما يوهمون الناس أنه فوق استعداد البشر ، وفوق ما منحوا من القوى والقدر ، وأنهم يستعينون عليه بالشياطين وأرواح الكواكب ، إلى غير ذلك من ضلالاتهم وكفرياتهم ، فأرسل الله هاروت وماروت يعلمانهم حقيقة السحر ، ويبينان لهم أن السحرة بشر مثلهم لا قدرة لهم على النفع والضر ، وأن السحر إما حيلة وشعوذة لا أصل لها ، وإما صناعة علمية خفية يعرفها بعض الناس ، وبهذا يكون علماً يؤخذ بالتعليم ويتكرر بالعمل ، وفى استطاعة كثير من الناس أن يتعلمه ويفعل ما يفعله أربابه ، ولا يرجع كما يزعمون إلى قوة غيبية فيهم ، ولا أثر فيه لتأثير الشياطين وأرواح الكواكب ، وهو مع هذا ليس من العلوم التى يليق بذوى الأخلاق الكريمة الاشتغال بها ، لأنه من العلوم التى تضر ولا تنفع ، ولا يشتغل به إلا كل دجال أو مشعوذ .

الحضارة الحميرية

وينسب الحميريون إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، وكان لهم ملك عريق باليمن ، وحضارة يشهد بفضلها ما بقى من آثارها . ومن أشهر دولهم فيه دولة سبأ ، وكانت دولة تجارية خلفت دولة مَعين فى نقل التجارة بين الهند والحبشة والعراق والشام ومصر ، وقد زهت حضارة اليمنيين فى عهد هذه الدولة ، وعظم غناؤها وثراؤها ، لأنها كانت تعنى بشق الأنهار وبناء السدود التى تحفظ المياه بين الجبال ، لتصرفها على الأرض بقدر ، ولا تذهب سدى فى الفلوات والبحار ، فعمرت بذلك بلاد اليمن أعظم عمارة ، وامتلأت نواحيها بالزروع والحدائق وناطحت قصورها وحصونها السحب

وقد نوه القرآن الكريم بحضارة سبأ أعظم تنويه ، وجعلها لعظمها ونخامتها آية من آيات الله ، فقال تعالى فى الآيات : — ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ — من سورة سبأ (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم

واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا ؛ وهل نجازى إلا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين ، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ؛ إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور)

وقد ذكر المفسرون من عظمة تلك الجنات أن المرأة كانت تحمل مكتلها على رأسها وتمر بها ، فيمتلئ المكتل من أنواع الفواكه من غير أن تمس بيدها شيئاً . وذكروا من طيب تلك البلدة أنه لم يكن يرى فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب ، وأن الرجل كان يمر بها وفى ثيابه القمل فيموت من طيب الهواء . وذكروا أن تلك القرى الظاهرة كانت تتواصل من اليمن إلى الشام ، فإذا سافروا فيها لمتاجرهم يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى ، وكلما وصلوا إلى قرية وجدوا فيها المياه والزروع والأشجار ، فلا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام . والقرآن الكريم يشير بهذا إلى أن عظمة هذه الدولة كانت قائمة على أساس التجارة ونقلها بين تلك البلاد ، كما يشير بقوله : (باعد بين أسفارنا) إلى أن زوال عظمتها كان بسبب انتقال زمام هذه التجارة من أيدى أبنائها ، وكل هذا يتفق مع ما وصل إليه علماء التاريخ فى عصرنا ، وهم لم يصلوا إليه إلا بعد الكد والتعب فى كشف ما تركته هذه الدولة من آثار ، وفى محاولة قراءة ما دون فيها من حوادث وأخبار ، وكم للقرآن من أمثال هذه المعجزات العلمية !

وكان سبب انتقال التجارة من أيدى أبناء هذه الدولة تحول طريقها من البر إلى البحر ، فأحدث ذلك أثراً كبيراً فيها ، وجعلها تعجز عن حفظ تلك السدود وتهمل شأنها ، وكانت خاتمتها بانهيار ذلك السد العظيم ، سد مأرب الذى أشار إليه القرآن الكريم .

(يتبع)

عبد المتعال الصعيدى

مكتبـــة النهضة المصـــرية

٩ ش عدلى باشا بالقـاهرة

تقدم المجموعة القيمة من الكتب العربية

مؤلفات الأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك
فى تاريخ مصر القومى

	مـ
تاريخ الحركة القوميـة جزء أول (عهد الحملة الفرنسية)	٢٥
تاريخ الحركة القومية الجزء الثانى (من الحملة الفرنسية إلى ولاية محمد على الكبير)	٢٥
عصر محمد على	٢٥
خلفاء محمد على وعصر إسماعيل فى جزءين	٣٠
الثورة العرابية	٢٥
مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ١٨٨٢ — ١٨٩٢	٢٠
مصطفى كامل	
تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٩٠ إلى سنة ١٩٠٨	١٥
محمد فريد ١٩٠٨ — ١٩١٩	٢٠

مؤلفات متنوعة

	مـ
الطفل من المهد إلى الرشد للأستاذ محمد خلف الله	٢٠
الحاكم بأمر الله للأستاذ عبد الله عنان	٢٠
من أدب الفراعنة للأستاذ محمد صابر	١٥
مبادئ السياسة المصرية لمعالى محمد علوبة باشا	٣٠
السينما للأستاذ بدرخان	١٠
الأمراض التناسلية وعلاجها للدكتور يوسف عبد العزيز حمودة	٤٥
قضية الفلاح للآنسة ابنة الشاطئ	١٠
فى الطريق للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى	١٥